ثم هجاه بعض الجارودية فقال: [من مجزوء الرجز]

الـــمُـــقـــبـــلـــي نَـــاصِـــبـــي أعْـــمَـــى الـــشَّـــقـــاءُ بَـــصَـــرَهْ

وبعده بيت أقذع فيه، وهكذا شأن غالب أهل اليمن مع علمائهم. ولعل ذلك لما يريده اللَّه لهم من توفير الأجر الأخروي. وكان ينكر ما يدعيه الصوفية من الكشف فمرضت ابنته زينب في بيته من مكة، وكان ملاصقاً للحرم، فكانت تخبره وهي من وراء جدار بما فعل في الحرم. وكان يغلق عليها مراراً وتذكر أنها تشاهد كذا وكذا فيخرج إلى الحرم فيجد ما قالت حقاً. وذكر رحمه اللَّه في بعض مؤلفاته أنه أخذ في مكة على الشيخ إبراهيم الكُرْدي المتقدم ذكره.

(٢٠٦)

(صِدِّيقُ بن رَسام بن نَاصِر السَّوادي الصَّعديّ)[1]

قرأ على الشيخ لُطْف اللَّه بن مُحمَّد الغياث في علم الآلة، وفاق فيه الأقران، وصار بعد شيخه المرجوع إليه في ذلك الفن، وأخذ عنه جماعة من النبلاء وتميزوا في حياته. ورحل بعد موت شيخه لُطْف اللَّه، وهو من مشاهير العلماء وأكابر النبلاء، وله خلف صالح فيهم العلماء والفضلاء والنبلاء. واتصل في آخر أيامه بالإمام المتوكل على اللَّه إسماعيل بن القَاسِم فولَّاه القضاء في بلاد خَوْلَان الشام بمغارب صَعْدَة. ولم يزل على ذلك حتى توفَّاه اللَّه. وله حواشٍ على كتب النحو والصرف مفيدة منقولة في كتب أهل صعدة. وكان موته في سنة ١٠٧٩ تسعٍ وسبعين وألف.

(٢٠٧)

(صِدِّيق بن عليّ المِزْجَاجي الزَّبيدي الحَنفي)

ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف، وقرأ في زبيد على الشيخ مُحمَّد بن علاء الدين صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وغيرهما من الأمهات. وقرأ على السيد سُليمان بن يَحْيَى المتقدم الأمهات كلها سماعاً مكرراً. وله قراءة في الآلات. وهو محقق في فقه الحنفية، وقد أجاز له شيخاه المذكوران إجازة عامة بجميع ما يجوز لهما روايته. وانتقل إلى المخا للتدريس هنالك، وبقي أياماً، ثم وصل إلى صنعاء في شهر ذي القعدة سنة (١٢٠٣)، ووصل إليّ ولم أكن قد عرفته قبل ذلك ولا عرفني، وجرت بيني وبينه مذاكرات في عدة فنون. ثم خطر ببالي أن أطلب منه

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٥/ ١٩.

الإجازة فعند ذلك الخاطر طلب مني هو الإجازة، فكان ذلك من المكاشفة، فأجزت له، وأجاز لي، وكان سِنُّه إذ ذاك فوق خمسين سنة، وعمري دون الثلاثين. ثم ما زال يتردد إليّ. وفي بعض المواقف بمحضر جماعة وقعت بيني وبينه مراجعة في مسائل، وأكثرت الاعتراض على مسائل من فقه الحنفية، وأوردت الدليل. وما زال يتطلب المحامل لما تقوله الحنفية، فلما خلوت به قلت له: اصدقني هل ما تبديه في المراجعة تعتقده اعتقاداً جازماً، فإن مثلك في عملك بالسنّة لا يُظنُّ به أنه يُؤثر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه صحيحاً ثابتاً عن رسول اللَّه ﷺ، فقال: لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل، وإن قال به من قال، ولا أدين اللَّه بما يقوله أبو حنيفة وأصحابه إذا خالف الحديث الصحيح، ولكن المرء يدافع عن مذهبه في الظاهر. ثم وفد إلى صنعاء مدة أخرى بعد سنة (١٢٠٩) ووصل إليّ، ورجع إلى وطنه، وبلغ بعد ذلك موته رحمه اللَّه[١]. وكان ذكياً فطناً ساكناً متواضعاً جيد الفهم قوي الإدراك.

٢٠٨
(السيد صَلاح بن أحمد بن مَهْدي المُؤيّدي)[٢]

كان من عجائب الدهر وغرائبه، فإنّ مجموع عمره تسع وعشرون سنة، وقد فاز من كل فنٍّ بنصيبٍ وافرٍ، وصار له في الأدب قصائد طنانة، يعجز أهل الأعمار الطويلة عن اللحاق به فيها. وصنّف في هذا العمر القصير التصانيف المفيدة، والفوائد الفريدة العديدة، فمن مصنفاته (شرح شواهد النحو). واختصر شرح العباسي لشواهد التلخيص، وشَرَحَ (الفصول) شرحاً حافلاً، وشرح (الهداية) ففرغ من الخطبة وقد اجتمع من الشرح مجلد. وله مع ذلك ديوان شعر كله غُرَرٌ ودُرَرٌ، وفيه مَعانٍ مبتكرة فمنه: [من الكامل]

وَصَغيرةٍ حَاولتُ فَضَّ خِتَامها ... مِنْ بَعْدِ فَرْطِ تَحنُّنٍ وَتَلطُّفِ
وَقَلبتُها نحوي فَقالتْ عِنْدَ ذا ... قَلبي يُحدّثني بِأنكَ مُتلفي[٣]

وهذا تضمين يطرب له الجماد وترقّ لحسنه الصمُّ الصلاد، ومع هذه الفضائل التي نالها في هذا الأمد القريب، فهو مجاهد للأتراك محاصرٌ لصنعاء مع الحَسَن والحُسَين ابني الإمام القَاسِم؛ كان مطرحه في الجراف يشنّ الغارات على الأروام في

(١) قيل: إنه توفي سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م (التقصار، الشجني).
(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٥/ ٢١؛ الأعلام: ٣/ ٢٠٧.
(٣) قيل: إن هذين البيتين للسيد صلاح بن أحمد، عزّ الدين المؤيدي، وليس لصاحب الترجمة.